الحداثة وتفسير القران الكريم

أ.م.د الاء شوقي عبد الباقي

جامعة بغداد/كلية التربية للبنات/قسم علوم القران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

أما بعد

الحداثة من المفاهيم التي تختلف فيها الآراء، وتتضارب فيها وجهات النظر، وهذا أمر مألوف في العلوم الإنسانية، والتي تتأثر بقوة بالفلسفات المختلفة، وهي تختلف عن العلوم الطبيعيّة، والتي تتميز بإمكانية تحديد المفاهيم، وحسم الخلافات، وهي أيضاً على النقيض من الرياضيات، والتي هي عالم الحقائق غير القابلة للاختلاف. ونحن هنا نرغب في بلورة مفهوم الحداثة على ضوء كتابات المؤمنين بالحداثة الغربية من العلمانيين الذين لا يؤمنون بإمكانية التقاء العلمانية بالدين، بل إنّ الدّين في نظرهم هو نقيض للحداثة. وإليك تلخيصاً لما يمكن أن تعنيه الحداثة في منظار الكثيرين من الحداثيين المادّيين، سواء أكانوا ماركسيين أم كانوا علمانيين:

١. الحداثة تعني سيادة العقل، وسيادة العقل من أهم أسس فلسفة التنوير، والعلمانية من أبرز ثمار الحداثة.

٢. تتعارض الحداثة مع كل ما هو تقليدي، وهي تنفي كل الثقافات السابقة عليها.

٣. الحداثة تعني التغيير المستمر، وهذا التغيير يؤدي إلى أزمات داخل المجتمعات التي تجد نفسها مضطرة إلى مراجعة القديم على أساس من العقلانيّة، والعقلانية هي التي تؤدي إلى الحداثة وليس العكس. وهذا ما حدث تاريخياً في أوروبا.

٤. الحداثة تعني أنّ الحقائق تستمد قيمتها من كونها نتاجاً للعقل البشري، وهي تعني حرية الاختيار للقيم والأساليب، وبالتالي تُحل العلم محل الإله.

ومن أقوالهم أنهم يقولون: إنّ النص الديني ليس حكراً على الإسلاميين، وبإمكان كل إنسان أن يفسر القرآن، وأن يجتهد في الدين!! ونحن بدورنا نقول: نعم بإمكان كل إنسان أن يجتهد بشرطين: الأول أن يكون مؤمناً بالأسس، لأن الدين أمانة، وليس بإمكاننا أن نأخذ من إنسانٍ يسعى إلى هدم أسس الدين. والشرط الثاني: أن يكون من أهل الاجتهاد، أي أن تتوافر فيه الشروط المطلوبة، وهذا شرط يطلب في كل علم: في الطب، وفي الصيدلة، والأدب، والفلسفة...

كذلك يقولون: من يستطيع أن يزعم أنّه يملك الحقيقة؟! ونقول بدورنا، هناك دائماً وفي كل المجالات من يزعم أنه يملك الحقيقة، ولكن الزعم لن يغني من الحق شيئا، فلا بد من الدليل والبرهان، وفي الإسلام لا نكفّر أحداً حتى ينكر ما علم من الدين بالضرورة، أي ما ثبت بدليل قطعي الثبوت قطعي الدلالة، واشتهر بين المسلمين وأجمعوا على فهمه. أمّا في الأحكام الشرعيّة فيكفينا ما ترجحه الأدلة في حدود إمكانات الإنسان، وهذا من بدهيّات الإسلام، لأن الجانب العملي من الدين يكفي فيه غلبة الظن من أجل سير الحياة واستمرارها، ولا يعقل أن نجمد في الحاضر بزعم أنّه قد يظهر لنا الخطأ في المستقبل.

ويقولون ايضاً: إن النص القرآني جاء لزمن معين، فيجب علينا أن نفسره على ضوء الواقع التاريخي، ويقصدون بذلك أن يترك لهم مطلق الحرية لإسقاط آرائهم ووجهات نظرهم على النص، فيكون لهم حرية تأويله بعيداً عن دلالات النصوص القطعيّة والظنيّة. ويقولون: إنّ علماء الإسلام يرفضون إعمال العقل في النص، وهم يعلمون أنّ ذلك غير صحيح، ويعلمون أنّ التاريخ الإسلامي حافل بالاجتهادات، والحوارات، والمناظرات الفكرية، وأنّ ذلك أفرز المذاهب، والمدارس الفكريّة. أمّا موضوع العقل والنص، فقد تم فيه التفصيل على أساس من البراهين العقلية.

-الموقف من تحديث التفسير:

هناك عدة نقاط يمكن أن نلخص الموقف من تحديث التفسير أبرزها :

١. القواعد والضوابط والشروط التي وضعها العلماء، والتي يجب توافرها في المفسر أو المجتهد، هي من تجلّيات عقول المفسرين والمجتهدين، وهذا لا يعني أن نتوقف عندها، بل يمكن أن نبدع في ضوابط أكثر دقة، وأصوب منهجية.

٣. فَهمُ العلماء عبر العصور هو تراث، ولا يتسم بالقداسة، ويمكن مراجعة كل قول من أقوالهم. وإذا قام الدليل على خطئهم تعين علينا أن نتبنّى ما قام عليه الدليل.

٤. يمكن الاستفادة من التطورات التي حدثت في مناهج البحث والاستنباط والتدليل، ويبقى العقل حكماً عدلاً على الرغم من قصوره.

٥. التحديث في الوسائل، والطرائق، والمناهج، يُجلّي إعجاز القرآن الكريم، كما هو الحال في التطور عند علماء الطبيعة والكونيات، كيف لا، والذي خلق هو الذي أنزل، سبحانه وتعالى؟!

٦. تبشر العلوم الحديثة بتجليات قرآنية، وقد أصبح هذا واضحاً على ضوء ما حصل في القرن العشرين، فإن الكثير من وجوه الإعجاز ظهرت وتجلت بعد أن تقدم الناس في العلوم المختلفة، سواء أكانت علوماً إنسانية، أم كانت علوماً كونية.

والقرآن الكريم كتاب في العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والتاريخ وغيرها، وهو أيضاً كتاب في منهجيّة التفكير، بشرط أن يتم التعامل معه مباشرة، والدارس للتاريخ يلحظ أن البشرية قد قفزت قفزات واسعة في منهجية التفكير بعد نزول القرآن الكريم، ويلحظ أن أول ما ظهر من العلوم بعد نزول القرآن هي العلوم المنهجية مثل: علم أصول الفقه، وعلم أصول الحديث، علم النحو والصرف. وليس من قبيل الصدفة أن يظهر الفقهاء قبل ظهور علماء الفيزياء والكيمياء والجبر وغيرها، واليوم يمكن أن نستمد المنهجية بالتعامل المباشر مع القرآن الكريم، وإذا تكونت المنهجية السليمة نكون قد وصلنا إلى مفاتيح الحل لمشكلات الحياة، وليس مفاتيح فهم القرآن فقط. ولا شك أن الكثير من الاشكالات الفكرية والعلمية التي نشأت في التاريخ كانت ترجع إلى الخلل في منهجية التفكير، ومنهجية البحث، ومنهجية الاستنباط والاستقراء.

أما تجربة مركز نون :

مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، مركز يعنى بالدراسات الإعجازية، وعلى وجه الخصوص ما نسميه الإعجاز الرياضي (العددي)، وقد وجد أن لهذه المنهجية الجديدة في التعامل مع القرآن الكريم انعكاسات إيجابية على علوم القرآن الكريم، ومنها علم التفسير، ويمكننا اليوم أن نحسم الكثير من الخلافات المتعلقة بتاريخ القرآن الكريم عن طريق الاستعانة بالإعجاز العددي، ويسهل عن طريق هذا الوجه من وجوه الإعجاز أن نفند مزاعم الحداثيين، الذين يقولون

بأن القرآن يعبر عن مرحلة تاريخية محددة، أو أنه وحي يخاطب الناس في عصر من العصور. نعم إنّ التحديث في المنهج هنا سهّل علينا الرد على مزاعم الحداثيين بالمفهوم الغربي للمصطلح. لقد أصبحنا اليوم أكثر استشعاراً لبعض معاني قوله تعالى في حق القرآن الكريم :(**تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**).

إنّ اكتشاف بعض البنى الرياضية القرآنية في عصرنا هذا، يدل على أن القرآن الكريم يخاطب عصرنا هذا، مما يفند مزاعم من يرى أنه خطاب لفترة تاريخية مضت وانقضت، كيف بنا وقد وجدنا أن هذه البنى تُجلّي بعض المعاني والأسرار، وتلفت الانتباه إلى دلالات جديدة لا تتعارض مع الدلالات الظاهرة للألفاظ والتراكيب، بل تعززها وتثريها، وتضيف إليها.

وأخيراً فلتأت الحداثة بما تشاء، وليدلِ الحداثيون وغيرهم بما شاءوا، فتاريخنا زاخر بأمثالهم، ولا يخشى طروحاتهم إلا من فقد ثقته بعقيدته، وثقافته، وحضارته. أما القرآن الكريم فيبقى كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، وأما نحن البشر فبحاجة دائمة إلى التحدي، ليتحصل لنا التعلم المجدي، "فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض". وسيبقى هناك من يجادل، لتتحقق حكمة الله في قوله:(... **وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**)(سورة الرعد، جزء من الاية١٣).

-المصادر:

-كتاب الحداثة والقران، سعيد ناشيد

-القراءة الحداثية للنصّ القرآني : دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة...

https://islamonline.net

-الحداثة و التفسير Islam noon